(The impact of the Renaissance Husseiniya in the poetry of resistance Dr. Abboud Judy ornaments model)

أثر النهضة الحسينية في شعر المقاومة شعر الدكتور عبود جودي الحليّ نموذجاً

د. سها صاحب القريشي د. محمد حسين علي حسين
جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

يعيش شعبنا مرحلة مقاومة ذات شعبتين: من أجل تحرير الوطن، ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، وتلتقي الشعبتان بهدف اكتشاف حقيقتنا الدينية والوطنية وتأكيدها – لا كشعار سياسي – بل شعوري ووجداني لا بد ان يحل في نفوسنا وثقافتنا التحررية محل الثقافات الواردة، ومن هنا فأن كل أدب تنتجه المرحلة يهدف الى تأكيد قيم الحرية ضد الاحتلال، والعدالة ضد الظلم من زاويتها الانسانية هو أدب مقاومة.

ومن النماذج الشعرية التي تتميز بهذه الظاهرة هو شعر الدكتور عبود جودي الحلي الذي جاء البحث عنه ليكشف عما يتميز به، ويستنطق مضامينه، ويتضمن البحث تمهيداً ومحاور داخلية هي: (الشعائر الحسينية وتأثيرها في الناس)، (المقاومة حقٌ في الدفاع)، (التفاؤل بالقادم المشرق)، (فتوى الجهاد الكفائي) وقد تلت هذه المحاور خاتمةٌ أوجزت ما جاء في البحث.

Summary

Live our two-pronged resistance stage: In order to liberate the homeland, and in order to achieve social justice, and meet two divisions in order to discover the religious and national our truth and confirmed - not a political slogan - but my feeling and Ojaddana must be resolved in our souls and our culture libertarian replace cultures contained, hence, all literature produced by phase aims to confirm the values of freedom against the occupation, and justice against the injustice of the humanitarian angle is the literature of resistance.

It is poetic forms that characterized this phenomenon is Dr. Abboud hair ornaments Judy, who came to search for him reveals what characterized it, questioning its contents, and includes an internal search preparation and axes and then a conclusion.

الشاعر في سطور:

هو عبود جودي عبود علي الخفاجي حلي الأصل كربلائي المولد والنشأة، حسيني الهوى والولاء، فأما أصله فمن أسرة عربية معروفة سكنت الحلة حينا من الزمان، ثم رحلت عنها إلى كربلاء حيث مرقدي الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وأما ولادته فكانت في كربلاء سنة1954 م، فتربى ونشأ بين كنفات هذه المدينة المباركة وتعلم من أهلها معاني الأخلاق والشجاعة، وممارسة العمل الحر في تجارة الأقمشة مثلما هو ديدن أسرته منذ القدم، وأما هواه فديوانه يطفح بالقصائد التي تفيض عاطفة وصدقا تجاه أهل البيت عليهم السلام مدحا ورثا وهجاء لأعدائهم.

أحب شاعرنا العلم منذ صغره وتفتحت - مبكرا - قريحته الشعرية وبدأ بكتابة اولى المحاولات الشعرية، ولاشك ان البيئة التي نشأ فيها وترعرع بين كنفاتها قد أسهمت إسهاما فاعلا في صقل مواهبه وتوجيهها في خدمة المجتمع والدين.

عمل شاعرنا معلما فمدرسا ثم أستاذا جامعيا وشغل من المناصب: رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة كربلاء وعميدا لها وحصل على الأستاذية سنة 2008م فانتدبته في العام نفسه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لرئاسة جامعة أهل البيت عليهم السلام، واستمر فيها لمدة أربع سنوات وله الكثير من المساهمات الثقافية والأدبية ومن مؤلفاته:

1. علي الفتال مراجع سيرته ونتاجه الأدبي صدر عن دار الفتال بكربلاء سنة 2004م.
2. علي الفتال في انعكاسات المرايا (1-3) صدر عن دار الفتال بكربلاء سنة 2004م.
3. أبو عمرو الشيباني وجهوده في الرواية الأدبية وهي في الأصل رسالة ماجستير.
4. الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز 1958م صدر عن مكتبة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء سنة 2005م، وهو في الأصل أطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية.

نشر الشاعر عشرات البحوث والمقالات في المجلات العلمية والصحف العراقية فضلا عن الأمسيات الأدبية والندوات الشعرية التي كان يحضرها ويشارك فيها حتى أن مثقفي كربلاء انتخبوه سنة 1996م في الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب في العراق - فرع كربلاء.

للشاعر ديوان مخطوط في ثلاثة أجزاء عنوانه (العراقي عندما يحب) وهو محفوظ في خزانة الشاعر.

التمهيد:

لا شك في أنّ تقاتل بني البشر فيما بينهم ظاهرة ليست طارئة على العالم في عصرنا الحاضر، بل هي قديمة قدم وجودهم على هذه الأرض، ولذلك فأنه لا أمل في أنْ يتوقف هؤلاء عن التناحر ليحل السلام قريباً، ما دام طرفا المعادلة التي تحكم مسيرة البشر (الخير والشر) لم يلتقيا يوماً ولن يلتقيا. ولذا فقد كان لزاماً على الأمم الحرة أن تتخذ موقف المقاومة حيال العدوان والهيمنة وان لا تقبل بالظلم.

ومن الطبيعي أن يكون للشعر بوصفه سيد الفنون الأدبية، وأكثرها تصويراً لما جرى ويجري من أحداث، وأسرعها تأثيراً في قلب المتلقي بتحريضه الرجال على المقاومة والجهاد وإثارة الباعث والرغبة فيهم، وإسهامه في نشر الوعي واليقظة والتحذير من مخططات الاعداء ووصفها بأنها خطر داهم، من هنا فان الشعراء كانوا في طليعة الذين استشرفوا المستقبل واستشعروا الخطر الذي يحدق بالأمة، ودعوا الى الأخذ بمقدمات التحرز عن وقوعه، والعمل على ايقاظها والسعي لشحذ همم رجالها. وكان من هؤلاء الشعراء الاستاذ الدكتور عبود جودي الحلي الذي أتخذنا من ديوانه (في رحاب كربلاء) وقصائد اخرى خارج الديوان، موضوع المقاومة لهذا البحث، ولكن ليست أية مقاومة، إنما هي المقاومة المستمدة من روح الامام الحسين عليه السلام وجهاده طريقاً ومنهجاً وهدفاً باعتبارها الميراث الحقيقي لأبناء الأمة، خصوصاً عندما يكون الاعتداء على الناس بأسم الدين في محاولة لحرفه عن مساره الصحيح وتعاليمه الحقيقية التي تأبى بالدرجة الأساس للانسان أن ينسلخ عن إنسانيته، ولأن الديوان مثلما هو واضح من عنوانه (في رحاب كربلاء) يتضوع منه عطر شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ويسهم في احياء امره ويعظم شعائره العاشورائية التي تذكر بموقفه البطولي واهدافه الإنسانية العليا، فالشاعر كغيره من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يعتقد بما ورد عن الامام الصادق عليه السلام بقوله: (... فأحيوا أمرنا... فرحم الله من أحيا أمرنا)[1]، كما يعتقد ايضاً بما ورد عن الإمام ابي عبد الله عليه السلام قوله (من قال فينا بيت شعر بني الله تعالى له بيتاً في الجنة)[2].

1- الشعائر الحسينية وتأثيرها في الناس

لطالما وصف أناس من خارج دائرة التشيع أو ربما من داخلها، إحياء النهضة الحسينية بأنها مجرد طقوس ومراسم، أو أن الشعائر العاشورائية غاية بنفسها تقام لأنها موروث اعتاد عليه البعض، والحق أن واقعة كربلاء تكشف عن واقعة خالدة بأهداف عظيمة بما تجسد من جهاد بالنفس في سبيل الله، بوصفه (الجهاد) ركناً من أركان الاسلام وإحياء للعدالة ومقاومة الظلم واحقاق الحق، فضلاً عن ردع المعتدين وعدم الرضوخ لهم، كما أنه اصلاح لجميع الانحرافات الفكرية والعقدية والسلوكية، التي يعيش (العراق) منذ عقود خلت وحتى يومنا هذا حالة التصدي والمقاومة لها، وهو نهج صرّح به الامام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية بقوله (إنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد) [3]، من هنا فقد صار واضحاً تشخيص علاقة المراسم العاشورائية بالثورة الحسينية، فجاء الوقت ليُسلط الضوء على أنها شعائر ليس هدفها اظهار مشاعر الحزن فحسب، وإنما تشير الى حقيقة ما وقع في كربلاء تصويراً يخدم النهضة الحسينية ومبادءها (فإن أي ثورة او نهضة اذا لم تخلق في نفوس أفرادها قدرة الاحياء فإنها زائلة مع تقادم الأيام)[4]، فأصبح لزاماً أن نلمس نتائج تلك الثورة في الواقع الانساني بكل حيثياته ومتغيراته الخطيرة. فقد آثر التذكير المتواصل بها من جيل الى جيل عبر طقوس ومراسم يلتزم بها المؤمنون في كل عام بغية اتخاذها مظهراً عاماً في مناحي الحياة جميعها من معرفة وسلوك خارجي وبعدٍ ايماني وهو ما وجد تأثيره في مناحٍ عدة، وما لا يمكن نكرانه ان الثورة أنتجت هذا الخط الجهادي المقاوم.

لقد استمر شعر المقاومة وتصاعد وتعددت أشكاله وطرق التعبير به مع وصول العراق مرحلة حساسة وحاسمة خصوصاً إبان الحكم الدكتاتوري المُباد في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، مما يعد وثائق أدبية مؤثرة للأحداث التاريخية التي مر بها الشعب العراقي كما في قصيدة الشاعر (أشرقت كربلاء)، (في أعقاب انتفاضة شعبان الباسلة سنة 1991م عندما تعرضت مدن الجنوب ومنها مدينة كربلاء لحرب شعواء، وقد أغرقها الظالمون في ظلام دامس ومنعوا أهلها الغذاء والدواء، وأشاروا الى أبنائها جميعاً بأصبع الاتهام) [5]، والتي منها قوله[6]:

حمَّلونـــا ذنـــب التشـــيع لمـــا ... مـــلأ الـــدين قلبنـــا والـــولاء

قـــد صـــدحنا بحـــبّ آل علـــي ... وهـــوى بعـــض مـــن يحـــبّ ادّعـــاء

منعونـــا الـــدوا وعنـــد ابـــن طـــه ... تربـــة طهـــرت وفيهـــا الـــدواء

ويعد مثل هذا الشعر وثيقة تاريخية لحقبة زمنية صعبة عاشها العراق، وما كان يصاحبها من ظلم سياسي وشعور بالحيف، وهي بعد ذلك تعبر عن صرخة عواطف محرومة تخللتها رغبة في تجاوز الواقع السيئ واعلان رفضه.

وتتكرر مثل تلك الشكوى الغاضبة من الشاعر في قصيدة (كل ارض كربلاء) واضعاً يده على مكمن العلّة كاشفاً عن سر المأساة، وهو الحقد الطائفي المقيت سواء كان من النظام السابق بحق الشعب طوال مدة حكمه الظالم أو بعد زواله، الذي تمثل بكل اشكال الارهاب الأسود الذي ضرب البلاد واستهدف أبناءه، الا انها غضبة ثورية متأججة مليئة بالثقة واليقين من مصيره المهزوم[7]:

وسوف يبقى طغاة الأرض في هلع ... تخيفهم دمعةٌ للسبط تنهمرُ

فأين من حاربوه ؟ أين دولتهم ... وهل هنالك من آثارهم أثرُ

وأين من حاربوا زوار مرقده ... في أي "مزبلة" في الأرض قد قبروا

قصورهم أصبحت مأوى الوحوش وقد ... طواهم الخزي مذ ضمتهم سقرُ

والشاعر لا يقف عند حد الحلم والصبر في تصوير مقاومة شعبه، فهي من دون شك ليست مقاومة سلبية، ولكنها مقاومة فاعلة للتغيير حين يلزم الأمر ويحين الوقت، فقد يتحول الرفض السلمي الى صراع مسلح في مواجهة صارمة مع المعتدي، كما هو شأن سيد الشهداء[8].

بنو العروبة ما هانوا ولا وهنوا ... وليس صبرهم ضعفاً إذا صبروا

وحلمهم ليس إغضاء على مقة ... لكنه العزم عند الحسم ينفجر

ومن أقرّ على ظلم احاق به ... فما له بعدُ بين الناس مفتخر

وليس صمتُ اباة الضيم من خورٍ ... حاشا الحسينيُّ أن ينتابه الخور

هذا الحسين وهذي شمس ثورته ... وسوف تبقى مدى الايام تستعر

لم تشغل الشاعر التفصيلات الجانبية لعصره، فقد احتوى جوهر ذلك العصر وسعى للكشف عن الوجه الحقيقي للبطل الكامل، والى دعوة الناس الى الحركة لصياغة حياتهم الجهادية على وفق ما رسمه ذلك البطل التاريخي وهو الامام الحسين عليه السلام.

ولذا فقد جرى التركيز على أنّ استشهاد كوكبة من الذين ارتضوا ان يكونوا مصابيح نور ومشاعل نضال على دروب الكفاح والمنافحة عن حرية الأمة وكيانها وهويتها، انما صاروا رموزاً للمقاومة ومدرسة لتخريج الأبطال لمراحل تالية، كما هو الحال مع السيد الشهيد الصدر واخته العلوية (بنت الهدى)[9]:

هزوا سيفوكم في وجهنا هزا ... أو فأسفكوا دمنا كي نرتقي عزّا

فقاتل الصدر لم يوقف تدفقه ... بل صار رمزاً وصارت أخته رمزا

ويمكن ان نتوقف عند أسّ البلاء الأول والرئيس برأي الشاعر عبود الحلي وهو اللوبي الصليبي الصهيوني الذي يقف وراء كل ما حل ويحل في العراق من مآسٍ، يشير الى ذلك بقوله[10]:

سلطوا علجهم علينا طويلاً ... سامنا الظلم بعد ذلك جاؤوا

وهو في إشارته هذه يريد القول ان (صداماً) وحكمه الظالم لعقود طويلة ليس إلا عميل لأمريكا التي جاءت محتلة للعراق عام 2003 بدعوى تخليصه من اضطهاده، وبالفعل لم تبق تنظيماً ارهابياً مروعاً إلا أدخلته الى العراق بعد أن فتحت حدوده أمامهم وحلت جيشه في خطوة لافراغ الساحة من مقاومين في محاولة منها لتجميد الشعب في اطار ثقافات الغزاة، او في توابيت ثقافته الشخصية التي تجبر الناس على التوقف عن مزاولة الحياة على وفق رويتها الموروثة ومواكبة الحياة المتطورة، وهل ذلك إلا الارهاب بعينه... يشير اليها بعد تدنيسها لأرض العراق مستنهضاً الامام المهدي (عج) [11]:

يضـــــجّ اليـــــك عـــــراق المحـــــن فجـــرّد حســـامك يـــا ابـــن الحســـن

ولا تبـــــق مســـــتعمراً كـــــافراً يعيـــث فســـاداً بهـــذا الـــوطن

لقد حركت مأساة الشعب العراقي بعد عام 2003 وجدان الشاعر، القومي والانساني والديني فألهمته شعراً صادراً عن التزام ذاتي داخلي، واختلطت فيه العوامل الوجدانية والوطنية والاجتماعية والدينية لتكسبه أبعاداً متداخلة متشابكة، واستطاع أن يعبر عن هذه التجربة العراقية بكل ما فيها من مأساة. فبعد أن كانت قضية فلسطين وشعبه هي القضية المحورية الاولى لشعر المقاومة إذ (ما أنشد شاعر عربي بيتين حتى اتصل منهما بفلسطين اتصالاً مباشراً واتصل الآخر بها اتصالاً غير مباشر)[12] كثرت الحروب وتنوع العدوان وأشكال الهيمنة في وطننا العربي مما أستوجب مواجهته، فلو وقعت حرب وظهر العدوان وانتفضت الحرية ستحدث المقاومة، فالفعل الواعي الحر المناهض للفعل العدواني هو الفعل المقاوم[13].

يقول الشاعر في قصيدة (عراق الحسين) التي يشي عنوانها بتلك العلاقة المقدسة التي تربط العراق والعراقيين بسيد الشهداء عليه السلام لأنهم أولى الناس بإرث جهاده ومقاومته[14]:

هـــــو علّـــــمَ النـــــاس الحيـــــاة بعـــــزةٍ والخـــــانعون حيـــــاتهم عـــــين الـــــردى

قـــــد أصـــــبحت أرض العـــــراق بفضـــــله نبعـــــاً يفـــــيض عطـــــاؤه طـــــول المـــــدى

.....

مـــــا دام فـــــي أرض العـــــراق ضـــــريحه سيضـــــيع كيـــــد الظـــــالمين بهـــــا ســـــدى

فعراقنـــــا يـــــأبى الرضـــــوخ لظـــــالمٍ مـــــا دام فيـــــه أبـــــو الأئمـــــة ســـــيدا

.....

ولـــــذا عزمنـــــا أن نحـــــارب مـــــن أتـــــى كـــــي مـــــا يـــــذلّ عراقنـــــا متعمـــــدا

نبقـــــى نقـــــاوم مـــــن يـــــدنّس أرضـــــنا مـــــا دام قـــــد وهـــــب الإلـــــه لنـــــا يـــــدا

وهكذا اعتاد الشاعر عبود الحلي أن يتخذ من سيرة الامام الحسين عليه السلام الثورية ضد مواقف الطغاة على مر العصور درساً ينبض بالحياة ويصلح لكل زمان ومكان وحافزاً للأجيال على مر السنين، يحفزهم على الوقوف بوجه الباطل وإزهاقه. كما يتضح منه رغبته المتحمسة الى بسط العدل وعدم الرضوخ لظالم، وهو شعر يحاول من خلاله ايصال حقيقة الواقع المعيش الى الجماهير من دون أن يحملها على بساط الفلسفة الى عالم ما وراء الطبيعة.

ولذا يغلب على ألفاظ الشاعر الربط في كل قصائده بين الفاظ الدين والسياسة لان شعره يصنف في إطار الشعر الديني (المختص بالإمام الحسين عليه السلام) تحديداً، وبالنظر الى الطابع الثوري المتقد بالحماسة المحفزة لمشاعر الناس فقد جاءت ألفاظه سهلة مألوفة[15]، والالفاظ السهلة في الغالب تستطيع أن تستنفذ احساس الشاعر، كما أنها الأقدر على دفع مشاعرنا الى التداعي وذلك بحكم كثرة استعمالنا لها وتلونها بلون نفوسنا[16].

وتبرز في شعره النغمة الحماسية الخطابية ايضاً التي توصله الى هدفه في التنبيه والتحريض وتعبئة الوجدان الوطني والقومي، فقد اورد بعض الباحثين[17] مميزات أدب المقاومة منها أنّه يثير الباعث والرغبة في الرد على العدوان مما يعد اسهامة من الادباء الملتزمين في حركة واعية جماعية جهادية تدعو الى الوعي واليقظة يقول الشاعر[18]:

الـــــى متـــــى يـــــا بـــــلاد العـــــرب ننتظـــــر فقـــــد دهتنـــــا الـــــدواهي وانتخـــــى الحجـــــر

ابنـــــاؤك الصـــــيد كـــــانوا فـــــي العـــــلا قممـــــاً وفـــــي ربوعـــــك كـــــان الزهـــــو والكبـــــر

تـــــاريخ مجـــــدك آيـــــات معطـــــرة وفـــــيض فكـــــرك إلهـــــام بـــــه العبـــــر

هـــــل أجـــــدبت أمـــــةٌ طـــــه معلمهـــــا وهـــــل غـــــدت فـــــي وهـــــاد الـــــذلّ تنحـــــدر

والى جانب هذا التعبير الذي تلوح منه الدعوة الى الأمة، بأن تستحضر ماضيها البطولي وتنظر الى جوهر الصراع وان تعيش الحياة بحجمها الحقيقي، نراه يستنهض الأمة التي لم يزل الشاعر متفائلاً بقدرتها على أن تتفاعل بعوامل النهضة والانعتاق.

2- المقاومة حقٌ في الدفاع

على الرغم من الحسّ القومي الواضح للشاعر المفتخر بعروبته، إلا أنها عروبة مستقاة من منهلها الصافي الأصيل، وهم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وليست تلك العروبة التي تحارب أهل الحق على أساس طائفي مقيت، وصل بحقده الى تسليم الارض والعرض نهباً بيد الارهاب، هذه العروبة التي يمثلها حكام عرب ورؤساء أذلاء، يقول[19]:

حكامهـــا مهـــدوا اســـتعمار دولتهـــا ... فخربـــت أرضـــها واســـتعبد البشـــر
ومنـــذ جـــاءت جيـــوش الكفـــر حـــلّ بنـــا ... النهـــبُ والـــذبحُ والارهـــاب والخطـــر
فـــلا المبـــادئ ترضـــى بالـــذي انتهكـــوا ... ولا العقيـــدة والآيـــات والســـور

الشاعر عبود الحلي تفاعل مع قضية شعبه العراقي ومظلوميته ويتضح ذلك عبر قصائده الشعرية وتوجيه المتلقي صوب مكامن الخلل في واقعنا العربي، فشعبه يعاني من شراسة العدو الارهابي المتمثل بالعصابات التكفيرية، بقدر ما يعاني من خيانة بعض العرب وتكفيرهم له، أنظمة وأحزاباً وأفراداً حتى ليمكن القول أنّ الخطر الثاني هو أشد تأثيراً وايلاماً. يقـول[20]:

حاربونـــا ومـــا اقترفنـــا أذاهـــم ... وقـــديماً يحـــارب الشـــرفاء
لـــك نشـــكو مـــا نالنـــا مـــن خطـــوب ... لـــيس منهـــا إلا إليـــك النجـــاء
عـــربٌ نحـــن والـــبلاد اســـتبيحت ... وثراهـــا قـــد خضـــبته الـــدماء
اخـــوةٌ نحـــن والعـــراق أســـيرٌ ... يتبـــاهى بأســـره العمـــلاء
اخـــوةٌ اضـــاعت الأخـــوه منـــا ... ضـــيعتها الملـــوك والرؤســـاء

فنرى الشاعر يستمد ويستلهم روح الثورة والمقاومة من ثورة الامام عليه السلام ليعبر من خلالها عن ثورته الذاتية وتمردها داخله على واقع الامة المظلم، الامة المندفعة بحقدها أبداً نحو الاطاحة بالعراق وتمزيق وحدته واثارة نار الفتنة فيه محملاً اياهم مسؤولية كل ما يحدث كاشفاً الزيف عن هذه الحقيقة[21]:

يـــا مـــن فـــدى بالـــدم الزاكـــي عقيدتـــه ... نشـــكو إليـــك مصـــيبات وأخطـــارا
فقـــد تـــداعى الاعـــادي–خـــاب فـــألهم- ... ضـــباع شـــؤم بمكـــر كـــان كبـــارا
ومزقـــوا وحـــدة الشـــعب التـــي عرفـــت ... إذ عـــاش بعضـــهم للـــبعض أنصـــارا
وأججـــوا حقـــدهم مـــن لـــؤم عنصـــرهم ... تبـــت يـــد أوقـــدت مـــن حقـــدها نـــارا
شـــاهت وجـــوه الألـــى خـــانوا عـــروبتهم ... وأعملـــوا ســـيفهم فـــي الشـــعب بتـــارا
فمـــا أبـــاح دمـــاء المســـلمين ومـــا ... ألقـــى العـــداوة إلا ظـــالم جـــارا
اخـــوّة الشـــعب قـــد أرســـى دعائمهـــا ... مـــن وحـــد النـــاس أجناســـاً وأقطـــارا

ان علاقة الشاعر بالواقع علاقة تفاعل تظهر في لغته الشعرية المرسلة للجماهير، فلا يتجسد الواقع عنده في الممارسات الوحشية التي يزاولها الاعداء يومياً ويشاهده العالم على الشاشات، بل هناك واقع آخر يحسه هو، وهو (الأمل) بوحدة الشعب رغم كل المخططات سواء من ادعى تمسكاً بنهج الحسين او من خالفه، فالولاء للحسين عليه السلام هو الضمان في توحيد الأمة لا غير[22]:

بولائـــه توحيـــد أمـــة جـــده ... فتعـــود صـــفاً صـــامداً متوحـــداً
إن كـــان مـــن يســـعى ليـــؤذي شـــعبنا ... بســـوى النبـــي وآلـــه مسترشـــداً
ما عذر من عرف الحسين وعاث في ... شـــعب العـــراق مشـــتتاً ومبـــدداً

فالكلمات والعبارات المستعملة تؤيد ان الرؤية السائدة على هذه النصوص الشعرية هي فكرة عودة الامل رغم النكبات والمعانـاة.

3- التفـاؤل بالقادم المشرق

إذا كانت كثرة الحروب وطول امتداد الظلم وتراكمه عبر السنين، قد دفعت بعض الشعراء الى شفا اليأس فإن الثقافة المتوارثة من اهل البيت (عليهم السلام) تأبى لأتباعهم ذلك وشاعرنا منهم حتى وان فكّروا باليأس الا ان يستمدوا من اللحظة نفسها عزماً وإصراراً على المقاومة، وتفاؤلاً بمستقبل أفضل.

وهذا التفاؤل ليس منبعه التمني بعيد المنال، او احتمال عدم مجيئه، إنما هو عقيدة راسخة في اذهان الشيعة وضمائرهم، فالحديث عن المنقذ العالمي وامام العصر (المهدي الموعود "عج") – يشكل موضوعاً بحد ذاته عند الشاعر يستحق البحث – هو حديث عن المستقبل المشرق ومرحلة الكمال وغاية التاريخ البشري، يزرع الأمل في قلوب شبابهم ويدفعهم نحو السعي والحركة والاستعداد للمقاومة والجهاد في أي وقت[23]، ولهذا يجدد الشاعر العهد لإمام زمانه لسان حال أبناء وطنه قائلاً[24]:

يـــا أوليـــاء الثـــار عـــاد عـــدوكم ... للجاهليـــة وهـــو لـــن يتحـــولا
ســـلوا صـــوارمكم ونحـــن كعهـــدكم ... معكـــم وعقـــد ولائنـــا مـــا بـــدلا
حتـــى وان طـــال انتظـــارُ قيـــامكم ... فالسـيف فـي غمـد التصـبر مـا سـلا

هذه اللغة التفاؤلية تظهر واضحة في اللغة الشعرية للشاعر رغم شراسة العدو وطول أمد الظلم، وهذا ما يجعل القارئ يستلذ وتتولد لديه روح المقاومة والأمل معاً، لنتأمل كيف يتوجه بخطابه الى العراق المجاهد متسلحاً بروح النصر التي استلهمها من ثورة المظلومين التي جسدها ابو الاحرار في الماضي والحاضر والمستقبل، ومتفائلاً واثقاً من نصر موعود في المستقبل[25]:

يـــا عـــراق الجهـــاد لســـت وحيـــداً ... معـــــاك الأنبيـــــاء والأوليـــــاء
وغـــد النصـــر ســـوف يـــأتي وتبقـــى ... عربيـــاً يفـــيض فيـــك العطـــاء
وســـيبقى نهـــج الحســـين منـــاراً ... ولنـــا قائـــداً فيعلـــو اللـــواء

هذه العقيدة التي يبدو أن فيلسوفاً يابانياً كـ (فرانسيس فوكوياما) قد قرأها واستوعبها جيداً حين قال (ان الشيعة يطيرون بجناحين: الأول هو جناح الماضي وهو كربلاء... والثاني جناح المستقبل وهو الأمل بثورة المهدي، إذن كيف يهزمون ؟؟) [26].

ولطالما ركز الشاعر على هذه الحقيقة، حقيقة استلهام الحاضر القوة من الماضي (الامام الحسين عليه السلام) والامل في المستقبل (الامام المهدي "عج")، حيث يقول[27]:

هـــذا العـــراق ســـيبقى ناصـــعاً أبـــداً ... إذ كلمـــا حـــاولوا تشـــويههُ ســـلما
فـــإن كبـــا يـــوم صـــبّ البغـــي مـــا حملـــت ... كفـــاه مـــن لـــؤم مـــا فـــي الأرض مـــن لؤمـــا
فإننـــا فـــي الغـــد الآتـــي لنـــا أمـــلٌ ... بـــأن يعـــود ويســـقي الظـــامئين دمـــا
عُـــد للطفـــوف فيـــوم الطـــف مدرســـةٌ ... بـــل نبـــع علـــم ومنهـــا يرتـــوي العُلمـــا

وفي موقف آخر يشير الشاعر الى قانون نضالي يصلح لكل زمان ومكان وهو يستنهض الامام المنتظر ويشكو اليه من تماوج الفتن بالمسلمين وصعوبة حالهم، ايماناً منه بأن الضعف لا يقود لغير الذل والمهانة والاستعباد، والقوة لا تقود لغير العزة والمجد والسؤدد، يقول[28]:

جـــرد الســـيف فقـــد ســـاد اللئـــام ... ودواء اللـــؤم تجريـــد الســـلاح

وهذا ما يذكرنا بموقف المتنبي في احدى سيفياته قائلاً[29]:

ومن طلب الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيضُ الخفافُ الصوارمُ

واستنهاض الامام الى تجريد السلاح إنما هي في حقيقة الأمر دعوة الى الجهاد وتحريض على مواصلة المقاومة والنضال خصوصاً إذا كانت هذه الدعوة يسوقها الشاعر بأسلوب المحفز والمذكر بقيم الحرية والإباء والعز والشرف التي تتناغم مع قيم العروبة والإسلام التي ينتمي اليها شعبه، يقول[30]:

نســتعذب المــوت فــي عــز وفــي شــرف ... أو أن نعـــيش أبـــاة الضـــيم أحـــرارا
حتـــى اذا حاربونـــا مثلمـــا فعلـــوا ... فحـــربهم ســـتزيد العـــزم إصـــرارا
حتـــى اذا شـــتمونا فالشـــتيمة لـــن ... تفـــلّ مـــن عزمنـــا فـــي الـــرفض مقـــدارا
نغضـــي علـــى مـــن بغـــى لؤمـــاً ومنقصـــة ... ومـــا ســـعينا الـــى البـــاغين إصـــرارا

4- فتوى الجهاد الكفائي

انّ اتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام في مسألة المقاومة إنما يتمسكون بالشرعية وصيغها سواء في رفض الواقع السياسي المخالف لهذه الصيغة او في مقاومة الظالم حاكماً او محتلاً. وهي مسألة خطيرة وجديرة بالاهتمام وليست مسألة تجري على هامش حياتنا الفقهية والسياسية والثقافية كما يقول (محمد مهدي الآصفي "رح")[31]، تلك النظرية الفقهية التي كان يتبناها ائمة أهل البيت عليه السلام وبعض المدارس الفقهية من أهل السنة[32].

فحالة الجهاد والمقاومة إذن ينبغي أن تعلن من الجهة الفقهية أي الحاكم الشرعي، وهو ما يسمى بـ (فقه المقاومة). كما حصل في العراق في 2014/12/14 حيث افتى المرجع الاعلى السيد (علي السيستاني) بالجهاد الكفائي بعد ان دنس التكفيريون (داعش) أرض العراق واحتلوا بعض مدنه، فأوجب على العراقيين محاربتهم، لتنتخي الارواح بعدها في حشود من المؤمنين أشار إليها الشاعر في قصيدته (ريم العراق) قائلاً[33]:

شـــيدت يـــا شـــعب العـــراق حضـــارة ... عملاقـــة فـــي ســـالف الأزمـــان
واقمـــت مجـــداً حيـــدرياً خالـــداً ... هتفـــت بـــه الـــدنيا بكـــل لســـان
(الحشـــد) فجـــر فيـــك أعظـــم طاقـــة ... خلاقـــة كتفجـــر البركـــان
فأعـــدت ماضـــيك المجيـــد بوثبـــةٍ ... فخـــر العـــراق بهـــا علـــى الأوطـــان

وفي هذه القصيدة التي اختار الشاعر أن يكون احد السباقين الذين يشاركون في كتابة تاريخ العراق ما بعد نكبة الموصل ودخول الدواعش وفتوى الجهاد والمقاومة التاريخية التي ربما كانت مؤشراً واضحاً عند الشاعر على ارهاصات ما يحدث في آخر الزمان من علامات حتمية لظهور الامام المهدي (عج) ولا سيما (خروج السفياني) مشبهاً به خيانة حكام العرب وتآزرهم مع اعداء العراق لتقسيمه وتفكيك وحدته في صورة تفصيليـة جميلـة يقول فيها[34]:

لكـــن اعـــداء الشـــريعة هـــالهم ... مـــا شـــاهدوا مـــن حشـــدنا الايمـــاني
حملـــوا معـــاول حقـــدهم كـــي يهـــدموا ... مـــا شـــيدته ســـواعد الفرســـان
جـــاء الـــدواعش للعـــراق وظـــنهم ... ان يفلحـــوا فـــي المـــنهج الشـــيطاني
وســـعوا الـــى تمزيـــق وحـــدة ... شـــعبنا مـــا بـــين شـــيعي وكردســـتاني

00000

ويحـــز فـــي الـــنفس الأبيـــة أن تـــرى ... عربـــاً هـــواهم صـــار أمريكـــاني
يـــا ويلهـــم تركـــوا شـــريعة أحمـــد ... مـــن غـــيهم لعبـــادة الأوثـــان

الى أن ينتهي بنفس النغمة التفاؤلية المعتادة التي تبشر بهزيمة تلك الزمر الحاقدة على أيدي الأوفياء من المقاومين الشرفاء بقيادة امام الزمان التي يحمل رايتهم السيد السيستاني، في إشارة منه الى فتوى الجهاد الكفائي:

وســـيهزم الجمـــع الـــذي مـــن دأبـــه ... ذبـــح الـــورى واهانـــة الانســـان
وســـينتهي الـــزمن الـــذي عاثـــت بـــه ... زمـــر تقـــدس رايـــة الســـفياني
ولســـوف تبقـــى رايـــة العـــز التـــي ... رُفعـــت بكـــف الســـيد السيســـتاني

والمتأمل لقصائد الشاعر يجد أن السمة المعنوية الأبرز في شعر المقاومة عنده تتمثل بإدخال الفكر الديني واللجوء الى مفاهيم العقيدة الاسلامية ومنطلقاتها وذلك ربما لأن المعركة تشن بأسم الدين وانها معركة وجود للدين الأصيل، فالشاعر يرى في الغزاة انهم قوم ضالين ومنحرفين، كما في قوله:

يـــا ويلهـــم تركـــوا شـــريعة أحمـــد ... مـــن غـــيهم لعبـــادة الأوثـــان

وكان ابتداء أمر هذا الخط الفقهي المقاوم يتمثل بثورة الامام الحسين عليه السلام السبط الشهيد بكربلاء الذي سن درب الثائرين يقول في (عشق الحسين):

يـــا ابـــن النبـــي ســـننت ســـنة ثـــورة ... وحملـــت فـــي درب الرســـالة مشـــعلا
وخططـــت درب الثـــائرين مضـــمخاً ... بـــدم الجهـــاد، فكـــان دربـــاً أمـــثلا
هـــذا الحســـين وذاك درب جهـــاده ... فاســـلكه إمـــا شـــئت أن تتمـــثلا

ويقول في قصيدة أخرى[35]:

بـــك يـــا ســـبط يقتـــدي الشـــهداء ... انـــت درس وليخســـأ الجبنـــاء
أنـــت علمتنـــا طريـــق التحـــدي ... فمشـــينا وتاجنـــا الكبريـــاء
لـــم يـــزل نهجـــك العظـــيم مســـاراً ... لـــم يحـــد عنـــه فتيـــة نجبـــاء

فجهاد الطغاة ووجوب مقاومة الظالمين نراها مجسدة في سيرة أهل البيت عليه السلام وبأوضح صورها في جهاد الحسين عليه السلام وتضحيته بنفسه واولاده والصفوة من أصحابه حين خطب في الناس واصحابه قائلاً (فاني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما)[36] فاستلهمه المقاومون العراقيون الشرفاء وأصبح رمزاً ونبراساً لهم في كفاحهم وجهادهم، يقول الشاعر في قصيدة (زد في علوك) [37]:

لقـــد رأى الســـبط فـــي الأخـــرى ســـعادته ... كمـــا رأى العـــيش فـــي غيـــر العلـــى برمـــا
فصـــار درســـاً علـــى الأيـــام متبعـــاً ... بـــه اقتـــدى قـــادة الثـــوار والزعمـــا
....
يبقـــى العـــراق مـــدى الأيـــام مفخـــرة ... مـــا جـــف منـــذ عرفنـــاه ومـــا عقمـــا
أبنـــاؤه الصـــيدُ مـــا هـــانوا ومـــا وهنـــوا ... ســـيمطرون غـــداً أعـــداءه حممـــا

أما نهاية خط المقاومة والجهاد فسيكون حتماً على يد الامام المهدي عجل الله فرجه في القابل من الأيام الذي لا يعرف متى إلا أن المتيقن انه سوف يأتي ويأتي بالنصر المؤزر. يقول الشاعر في قصيدة (هم قدوة للناس)[38]:

والقـــائم المهـــدي يســـطع نـــوره ... ســـيحيل جمـــع الظـــالمين هشـــيما
ويـــذيقهم مـــن ســـيفه حـــر اللظـــى ... ويعيـــد نهـــج المســـلمين قويمـــاً

الخاتمــة

واننا اذ نقف على مشارف الانتهاء من هذا العرض لمسيرة شعرٍ مقاومٍ ارتفعت منه كلمة حرة مقاتلة، نستطيع ان نوجز ما ورد في البحث من أمور:

فالمقاومة منهج في إدراك جوهر الواقع الحقيقي ومحاولة لاستحضار رموز البطولة التاريخية التي يتضوع منها عبير الفخر والخلود وبسط العدل والاحسان، وهذا ما يمكن رؤيته في جيلنا من الشعراء المعاصرين، ونموذجنا في ذلك الدكتور عبود جودي الحلي، والدراسة هي محاولة لاكتشاف ما يمكن ان يصنعه الادب بعقلية الشعب الذي يكتب عنه ويكتب له، فكان واضحاً:

1- أثر الشعائر الحسينية في عامة الناس لا سيما الشعراء الذين استمدوا من النهضة الحسينية عوامل استنهاض الأمة ودعوتهم الى إدراك الواقع وتوجيه المتلقي صوب مكامن الخلل في واقعنا العربي وما يعانيه من شراسة العدوّ الإرهابي المتمثل بالعصابات التكفيرية.
2- وعلى الرغم مما ناله شعبنا من ظلم وإرهاب فانّ شاعرنا يستمد من الموقف نفسه عزماً واصراراً على المقاومة وتفاؤلاً بمستقبل أفضل لأنه يستند الى موروث مشروع في المقاومة والجهاد كما في فتوى الجهاد الكفائي الذي كتب للعراق تاريخاً مشرّفاً جديداً يتمثل فيما يحمله رجاله من قيم الرجولة الفذة والوقوف ببأس شديد وايمان راسخ بحق المقاومة والجهاد المشروع ضد المعتدين.
3- وقد جاء شعره تعبيراً عن صدق مشاعره في الدفع لقراءة المواقف والاحداث والدعوة للنظر فيها، وقد مازج في توظيفه الشعر بين الفاظ السياسة ومعانيها والفاظ الدين ومعانيه بلغةٍ سهلةٍ مفهومة تبتعد عن مظاهر الصُنعة والتكلف والزخرف مع التركيز على أحد أهم رموز التاريخ الاسلامي المتمثل في الامام الحسين عليه السلام والإفادة من موقفه الصلب في المقاومة والدفاع عن المبادئ.

الهوامش

1. قرب الأسناد، لعبد الله الحميري (ت270هـ): 36.
2. عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر الصدوق (ت381هـ): 7/1.
3. الفتوح، لأبن أكثم الكوفي (ت314هـ): 47.
4. الاصلاح الحسيني، مجلة فصيلة متخصصة في النهضة الحسينية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية التابع للعتبة الحسينية المقدسة، العدد -7- النجف الأشرف، ص100.
5. في رحاب كربلاء: 28
6. م. ن: 29
7. م. ن: 60
8. في رحاب كربلاء: 60
9. م. ن: 69
10. في رحاب كربلاء: 15
11. م. ن: 55
12. شعر العرب المعاصر: 123
13. ينظر: لماذا ادب المقاومة: (الجمعية الثقافية - الرواسي) www.rawassi.org
14. في رحاب كربلاء: 73.
15. قصيدة عشق الحسين عليه السلام للشاعر عبود الحلي، دراسة في البناء الفني، محمد حسين المهداوي: 10.
16. في الميزان الجديد: 78.
17. ينظر: ثقافة المقاومة في الآداب والفنون: 63.
18. في رحاب كربلاء: 60
19. م. ن: 60
20. في رحاب كربلاء: 15
21. م. ن: 68
22. في رحاب كربلاء: 73.
23. ينظر: بشارة الامان بموعود الاديان: 6/1.
24. في رحاب كربلاء: 12
25. في رحاب كربلاء: 15
26. الشيعة لن يهزموا – موقع الكتروني www.alarabiya24.com/ar/news، الفيلسوف الياباني: هو محقق ومؤرخ امريكي من أصل ياباني كان يعمل في الأمن الامريكي، شارك بمؤتمر في القدس عنوانه معرفة جديدة عن الشيعة (رسم الفكر السياسي للشيعة) حيث قال فيه (ان الشيعة طائر يطير اعلى من مرمى سهامنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية)، واضاف، وله جناحان جناح اخضر وجناح احمر، الاخضر هو المهدوية وطلب العدالة على يديه فهم منتظرون والمنتظر لا ييأس، والاحمر به جذور في كربلاء وهذا ما يمنعهم من الفناء، فالشيعة تطير عالياً بهذين الجناحين، متسائلاً كيف يهزمون)
27. قصيدة (زد في علوك) ضمن ديوانه المخطوط (العراقي عندما يحب).
28. في رحاب كربلاء: 42
29. ديوان المتنبي بشرح العكبري: 353/2.
30. في رحاب كربلاء: 68
31. ينظر: المقاومة جدلية الحق والقوة: 60
32. ينظر: م. ن: 61
33. قصيدة منشورة في مجلة (الأحرار): 498
34. في رحاب كربلاء: 11
35. في رحاب كربلاء: 15
36. تاريخ الأمم والملوك: 301/4
37. ديوان (العراقي عندما يحب) / مخطوط
38. في رحاب كربلاء: 51

المصـــادر

- المخطوطات

- العراقي عندما يحب، وهو ديوان د. عبود جودي الحلي مخطوط في خزانته.

- الكتب المطبوعة:

1- بشارة الأمان بموعود الأديان، للشيخ محمد إمامي كاشاني، ج1، ط1، طهران، 1434هـ - 2013م.
2- ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، مجموعة باحثين، كلية الآداب والفنون، جامعة فيلادليفيا، مطبعة الخط العربي عمان، 2006م.
3- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح العلامة أبي البقاء العكبري البغدادي، تقديم الدكتور عمر فاروق الطباع، شركة دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م.
4- شعر العرب المعاصر، د. شفيعي كدكني، مطبعة سخن، طهران 1380هـ - 2001م.
5- تاريخ الامم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.
6- عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر الصدوق، محمد بابويه القمي (ت381هـ)، تحقيق مهدي لاجوردي، الناشر جيهان، طبعة طهران، 1378هـ.
7- الفتوح، لابي أعثم الكوفي، ابو محمد احمد بن علي (ت314هـ) تحقيق علي شيري، دار الاضواء، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.
8- في رحاب كربلاء، ديوان شعر الدكتور عبود جودي الحلي، منشورات جامعة أهل البيت عليه السلام مطبعة الطف، ط1، 1433هـ - 2012م.
9- في الميزان الجديد، محمد مندور، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1973هـ.
10- قرب الاسناد، لعبد الله بن جعفر الحميري (ت270هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ط1، قم، 1413هـ.
11- المقاومة، جدلية الحق والقوة، تأليف مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكمية، ط1، بيروت، 1431هـ -2010م.

– الدوريـات:

1- الاحرار: وهي نشرة اسبوعية تصدر عن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد 498.
2- الاصلاح الحسيني : وهي مجلة فصلية متخصصة تصدرعن مركز الدراسات التخصصية التابع للعتبة الحسينية المقدسة،العدد 7.

– شبكة المعلومات الدولية:

– الشيعة لن يهزموا – www.alarabiya24.com/ar/news
– لماذا أدب المقاومة: www.rawassi.org (الجمعية الثقافية - الرواسي)